المبحث الثاني

أسباب التقديم والتأخير في القرآن الكريم

● **السبب الأول :**

التقديم والتأخير كما يقتضيه الأصل ولا مقتضى للعدول عنه .كتقديم الفاعل على المفعول ، والمبتدأ على الخبر ، وصاحب الحال عليها نحو جاء زيد راكباً ، وليس هذا التقديم هو مجال بحثنا .

● **السبب الثاني :**

عدم الإخلال ببيان المعنى .

ويقصد به رفع الإشكال عن المعنى الظاهر ، فإذا ما عُرِف أنه من باب التقديم والتأخير زال الإشكال .

ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ (التوبة:٥٥).

هذا من تقاديم الكلام يقول : لا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة . وأخرج عنه أيضاً في قوله تعالى ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ (طه:١٢٩) ، قال هذا من تقاديم الكلام ، يقول لولا كلمة وأجل مسمى لكان لزاماً . وأخرج عن مجاهد في قوله تعالى : ﴿ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١ قَيِّمًا ﴾ (الكهف:١،٢) قال : هذا من التقديم والتأخير أنزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا.[1]

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ ﴾ (غافر:٢٨) فإنه لو أخر قوله : ﴿ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾ فلا يفهم أنه منهم .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ (المؤمنون:٣٣) بتقديم الحال ﴿ مِن قَوْمِهِ ﴾ على الوصف ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ ولو تأخر

---

(١) الإتقان المجلد الثاني ص٢٦ .

لتوهم أنه من صفة الدنيا ، لأنها هاهنا اسم تفضيل ، من الدنو وليست اسماً ، والدنو يتعدى بـ ﴿ مِن ﴾ وحينئذ يشتبه الأمر في القائلين أهمْ : من قومه أم لا ؟ فقدِّم لاشتمال التأخير على الإخلال ببيان المعنى المقصود ، وهو كون القائلين من قومه. وحين أمن هذا الاختلال بالتأخير قال تعالى في موضع آخر من هذه السورة: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ (المؤمنون:٢٤) [1]

● **السبب الثالث :**

التقديم لمشاكلة رءوس الآي أو ما يسمى رعاية الفاصلة :

من ذلك قوله تعالى : ﴿ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴾ (طه:٦٧) فإنه لو أخر في ﴿ نَفْسِهِۦ ﴾ عن ﴿ مُّوسَىٰ ﴾ ، فات تناسب الفواصل ، لأن قبله ﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾ (طه:٦٦) ، وبعده ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ (طه:٦٨) وهذا السبب الذي ذكره الزركشي في برهانه وتابعه عليه السيوطي لا نوافق عليه للأسباب التي سوف أوردها في ذلك عند الحديث عن الآية التاسعة من سورة طه: ﴿ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴾

● **السبب الرابع :**

التأخير لمناسبته لما بعده :

كما في قوله تعالى : ﴿ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾ (إبراهيم:٥٠) فإن تأخير الفاعل عن المفعول لمناسبته لما بعده وهو قوله تعالى : ﴿ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ (إبراهيم:٥١) فالنار هي جزاء كفرهم ولهذا أخرت لتناسب ﴿ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ ﴾ في بداية الآية التي تليها .

● **السبب الخامس :**

التقديم للعظمة والاهتمام :

وذلك أنه من عادة العرب الفصحاء ، إذا أخبرت عن مخبَر ما ، وأناطت به حكماً أو علقت به وصفاً وقد يشركه غيره في ذلك الحكم ، أو فيما أخبر به عنه وقد عطفت أحدهما على الآخر بالواو المقتضية عدم الترتيب فإنهم يبدأون بالأهم والأولى ولو كانا جميعاً محل اهتمام واعتناء .

---

(١) البرهان ، المجلد الثالث ص٢٧٤ ص٢٧٥ .

ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ (البقرة:٤٣) فبدأ بالصلاة لأنها أهم .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ (التغابن:١٢) .

وقال تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (الفاتحة:٥) .

فقدم العبادة للاهتمام بها ، فهي مطلوب الله ، والاستعانة مطلوب العبد .

● **السبب السادس :**

أن يكون الخاطر ملتفتاً إليه ،والهمة معقودة به :

ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ﴾ (الأنعام:١٠٠)

بتقديم لفظ الجلالة ـ الجار والمجرور ـ على المفعول الأول ، لأن الإنكار متوجه إلى الجعل لله ، لا إلى مطلق الجعل .

● **السبب السابع :**

التبكيت والتعجب :

ومن ذلك تقديم المفعول الثاني على الأول في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ ﴾ (الأنعام:١٠٠) والأصل {الجن شركاء} وقدم ، لأن المقصود هنا التوبيخ على اتخاذ الشريك ، سواء أكان من الجن أم من غيره ، وهذا أبلغ في حصوله وأدل على المقصود .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ ﴾ (يس:٢٠) توبيخ لأهل المدينة الكافرين والمعرضين مع قربهم من الرسالة والدعوة ، وحصول الإيمان من ساكني الأطراف .[1]

● **السبب الثامن :**

الاختصاص :

وذلك بتقديم المفعول ، والخبر ، والظرف ، والجار والمجرور ، ونحوها على الفعل كقوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (الفاتحة:٥) أي نخصك بالعبادة والاستعانة ، فلا نعبد غيرك ، ولا نستعين بسواك .

---

(١) البرهان ص٢٧٦ .

وقوله : ﴿ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (النحل:١١٤)أي إن كنتم تخصونه بالعبادة ، فلا تعبدون غيره .

وأما التخصيص بالخبر فمن ذلك قول الله تعالى : ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي ﴾ (مريم:٤٦) الأصل أأنت راغب .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ ﴾ (الحشر:٢) .

والأصل وظنوا أن حصونهم مانعتهم من الله .

تقديم الظرف له حالتان ، فإن كان في الإثبات دل على الاختصاص ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ۝ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾ (الغاشية:٢٥،٢٦).

أي أن رجوعهم وحسابهم إلى الله ، وليس إلى غيره .

وإن كان في النفي فإن تقديمه يفيد تفضيل المنفي عنه ، كما في قوله تعالى : ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴾ (الصافات:٤٧) أي ليس في خمر الجنة ما في خمرة غيرها من الغول .

أما تأخير الظرف : فإنه يفيد النفي فقط ،كما في قوله تعالى : ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ (البقرة:٢) [1]

● **السبب التاسع :**

السبق بالزمان والإيجاد :

ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ ﴾ (آل عمران:٦٨)

فالنبي ﷺ أفضل من أتباع إبراهيم ـ عليه السلام ـ ولكنهم قدموا عليه لوجدهم قبله زماناً .

ومنه قوله تعالى :

﴿ هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ (الفرقان:٧٤) فالأزواج قبل الذرية وهم سبب لوجودها .

وأما ما قاله الزركشي :« واعلم أنه ينضم إليه ـ أي مع السبق الزماني الوجودي ـ التشريف عند قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ

---

(١) البرهان ، المجلد الثالث ص٢٧٨ .

عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (آل عمران:٣٣) فقوله غير مسلم له وسوف نتناوله بالتفصيل في الفصل التالي .

ومن التقديم بالإيجاد السنة قبل النوم في قوله تعالى:﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ (البقرة:٢٥٥). لأن العادة في البشر أن تأخذ العبد السنة قبل النوم ، فجاءت العبارة على حسب هذه العادة أو أنها وردت على سبيل التمدح والثناء ، وافتقاد السنة أبلغ في التنزيه فبدئ بالأفضل لأنه إذا استحالت عليه السنة فأحرى أن يستحيل عليه النوم .

ومن ذلك تقديم الظلمة على النور كما في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾ (الأنعام:١) والليل على النهار ، ومنه قوله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (الأنبياء:٣٣) ، ومنه تقديم الزمان على المكان ومنه قوله تعالى : ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ (الأنعام:١) .

والموت على الحياة ومنه قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ ﴾ (الملك:٢). ومنه التقديم لسبق الوجوب ومنه قوله تعالى : ﴿ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ ﴾ (الحج:٧٧)

● **السبب العاشر :**

التقديم لسبق التنـــزيه :

ومنه قوله تعالى : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾ (البقرة:٢٨٥).

● **السبب الحادي عشر :**

التقديم بالذات :

ومنه قوله تعالى : ﴿ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾ (النساء:٣) ونحوه ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ ﴾ (المجادلة:٧)

السبب الثاني عشر :

التقديم بالعلة والسببية :

كتقديم العزيز على الحكيم ، لأنه عز فحكم ، وتقديم العليم على الحكيم ، لأن الإتقان ناشئ عن العلم ، ومن ذلك قوله سبحانه : ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا

مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (البقرة:٣٢). ومنه قوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾(الفاتحة:٥). قدمت العبادة لأنها سبب حصول الإعانة . وقوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾(البقرة:٢٢٢) فإن التوبة سبب للطهارة ، وكذا قوله : ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾ (الجاثية:٧)وقوله : ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ۝ لِّنُحْيِىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴾ (الفرقان:٤٨،٤٩) قدم إحياء الأرض ، لأنه سبب إحياء الأنعام والأناسي ، وقدم إحياء الأنعام ، لأنه مما يحيا به الناس ، بأكل لحومها وشرب ألبانها .

ومن ذلك قوله سبحانه : ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ (الأنفال:٢٨)

قدم الأموال من باب تقديم السبب ، فإنه إنما شرع النكاح عند قدرته على مؤونته ، فهو سبب التزويج والتزويج سبب للتناسل ، ولأن المال سبب للتنعيم بالولد ، وفقده سبب لشقائه .

● **السبب الثالث عشر :**

التقديم والتأخير بالمرتبة :

كتقديم سميع على عليم فإنه يقتضي التخويف والتهديد ، فبدأ بالسميع لتعلقه بالأصوات ، وإن من سمع حسك فقد يكون أقرب إليك في العادة ممن يعلم ، وإن كان علم الله يتعلق بما ظهر وما بطن .

وكقوله : ﴿ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (البقرة:١٧٣)فإن المغفرة سلامة ، والرحمة غنيمة ، والسلامة مطلوبة قبل الغنيمة ، وإنما تأخرت في آية سبأ في قوله : ﴿ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴾ لأنها منتظمة في سلك تعداد أصناف الخلق من المكلفين وغيرهم ، وهو قوله : ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴾ (سبأ:٢) فالرحمة شملتهم جميعاً ، والمغفرة تخص بعضاً ، والعموم قبل الخصوص بالرتبة .

وقوله تعالى : ﴿ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ ﴾ (الحج:٢٧) فإن الغالب أن الذين يأتون رجالاً من مكان قريب ، والذين يأتون على الضامر من البعيد .[1]

---

(١) البرهان ص٢٩١ .

● السبب الرابع عشر :

التقديم بالداعية :

كتقدم الأمر بغض الأبصار على حفظ الفروج في قوله تعالى : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾ (النور:٣٠) لأن البصر داعية إلى الفرج لقوله ﷺ : {العينان تزني والفرج يصدق ذلك أو يكذبه}[1]

● السبب الخامس عشر :

التقديم للتعظيم :

كقوله تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ﴾ (النساء:٦٩).

وقوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﴾ (الأحزاب:٥٦).

وقوله : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ ﴾ (آل عمران:١٨).

وقوله : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ (المائدة:٥٥).

● السبب السادس عشر :

التقديم للشرف وهو أنواع :

شرف الرسالة : كقوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ ﴾ (الحج:٥٢).

فإن الرسول أفضل من النبي .

وقوله : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ﴾ (الأعراف:١٥٧).

وقوله : ﴿ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾ (مريم:٥٤) .

وجعل الزركشي من هذا النوع شرف الذكورة ، وهذا ما لا نتفق معه فيه ، وسوف يأتي الرد مبسوطاً في الفصل التالي .

شرف الحرية : كقوله تعالى : ﴿ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ ﴾ (البقرة:١٧٨).

شرف العقل : كقوله تعالى : ﴿ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَـٰٓفَّـٰتٍ ﴾ (النور:٤١) فقدم الاسم الموصول الخاص بالعاقل ، وهو [من] ثم ذكر غير العاقل وهو الطير .

---

(١) مسند الإمام أحمد ج٢/٣٧٢ .

وكقوله تعالى : ﴿ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾ (النازعات:٣٣).

شرف الإيمان :كقوله تعالى : ﴿ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ ﴾ (الأعراف:٨٧).

وكذلك تقديم المسلمين على الكافرين في كل موضع ، والطائع على العاصي ، وأصحاب اليمين على أصحاب الشمال .

شرف الحياة : كقوله تعالى :﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾ (الروم:١٩)

شرف المعلوم : نحو قوله تعالى : ﴿ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ (المؤمنون:٩٢)فإن علم الغيبيات أشرف من المشاهدات .

ومنه ﴿ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴾ (الأنعام:٣) ﴿ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ (التغابن:٤)

شرف الأعضاء :

كتفضيل القلب على سائر الأعضاء ومنه قوله تعالى : ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ﴾ (البقرة:٧).

وأما ما ذكره الزركشي من تفضيل السمع على البصر في هذا النوع فهذا أيضاً مما لا نوافقه فيه لما سوف نبينه فيما بعد .

شرف المجازاة :

ومنه قوله تعالى : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ﴾ (الأنعام:١٦٠).

شرف العموم :

فإن العام أشرف من الخاص ، كتقديم العفو على الغفور ، أي عفو عما لم يؤاخذنا به مما نستحقه من ذنوبنا ، غفور لما أخذنا به في الدنيا ، فتقدم العفو على الغفور لأنه أعم وأخِّرَت المغفرة لأنها أخص ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾ (الحج:٦٠) .

شرف الإباحة للإذن بها :

كقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ ﴾ (النحل:١١٦) .

الشرف بالفضيلة : كقوله تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (النساء:٦٩) وقوله تعالى : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (الفتح:٢٩)وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾ (الأنبياء:٤٨) ومنه تقدم جبريل على ميكائيل في قوله تعالى ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ ﴾ (البقرة:٩٨) لأن جبريل صاحب الوحي والعلم ، وميكائيل صاحب الأرزاق والخيرات النفسانية أفضل من الخيرات الجسمانية .

ومنه تقديم المهاجرين في قوله تعالى : ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾ (التوبة:١١٧).

وبدل على فضيلة الهجرة قوله ﷺ :{لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار}[1]

وبهذه الآية احتج الصديق على تفضيلهم وتعيين الإمامة فيهم .

ومنه قوله : ﴿ صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (الأحزاب:٥٦) ، فالصلاة أفضل من التسليم ، فهي رحمة وثناء وتحلية ، والتسليم تطهير من النقص والعيب بالتخلية ، والإثبات أفضل من السلب .

وقوله تعالى : ﴿ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ ﴾ (البقرة:١٧٧) قدم القريب ، لأن الصدقة عليه أفضل من الأجنبي .

ومنه تقديم الوجه : كقوله تعالى : ﴿ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ ﴾ (المائدة:٦)

وتقديم اليمين على الشمال ، في قوله تعالى : ﴿ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ﴾ (سبأ:١٥)، وقوله تعالى : ﴿ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ ﴾ (المعارج:٣٧).

ومنه تقديم الأنفس على الأموال في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم ﴾ (التوبة:١١١).

ومنه قوله تعالى : ﴿ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ ﴾ (الفتح:٢٧) فإن الحلق أفضل من التقصير في العمرة والحج وقد دعا النبي ﷺ للمحلقين ثلاثاً وللمقصرين مرة .

ومنه تقديم السموات على الأرض كقوله:﴿ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ﴾ (العنكبوت:٤٤)

---

(١) صحيح البخاري ج٥ص ٣٨ .

ومنه تقديم الإنس على الجن ، في قوله :﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (الإسراء:٨٨)

وقوله : ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴾ (الرحمن:٣٩).

وقوله : ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ (الجن:٥)

وقوله : ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ۝ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾ (الرحمن:١٤،١٥).

ومنه تقديم الساجدين على الراكعين ، في قوله :﴿ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ (آل عمران:٤٣) .

ومنه تقديم الخيل على البغال ، والبغال على الحمير في قوله : ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا ﴾ (النحل:٨)ومنه تقديم الذهب على الفضة في قوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ ﴾ (التوبة:٣٤) .

وفي قوله : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ ﴾ (آل عمران:١٤).

ومنه تقديم الصوف في قوله : ﴿ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ ﴾(النحل:٨٠)

ولهذا احتج به بعض الصوفية على اختيار لبس الصوف على غيره من الملابس .

ومنه تقديم الشمس على القمر في قوله تعالى :﴿ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴾(الحج:١٨).

وفي قوله : ﴿ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴾ (يوسف:٤)

وقوله : ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴾ (الفرقان:٦١).

وقوله تعالى : ﴿ جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا ﴾ (يونس:٥)

● **السبب السابع عشر :**

الغلبة والكثرة :

كقوله تعالى : ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ (فاطر:٣٢).

وقوله : ﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ (هود:١٠٥) وقوله : ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ﴾ (آل عمران:١٥٢) ومن هذا النوع ، قوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا ﴾ (المائدة:٣٨).

فالسرقة في الرجال أكثر منها في النساء ، أما قوله تعالى : ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي ﴾ (النور:٢) بتقديم المرأة لأن الزنى فيهن أكثر فهذا غير مسلم به .

ومنه قوله تعالى : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ﴾ (النور:٣٠) فتقديم البصر هنا لأنه بريد الزنى .

ومنه تقديم الرحمة على العذاب ، ومعظم آي القرآن في حديثها عن الرحمة والعذاب تبدأ بها أولاً ثم تذكر العذاب ، ومن ذلك قوله : ﴿ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾ (الحجر:٤٩،٥٠) .

● **السبب الثامن عشر :**

التقديم لدلالة السياق :

ومنه قوله تعالى:﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾ (النحل:٦)

لما كان إسراحها وهي خماص ، وإراحتها وهي بطان ، قدم الإراحة لأن الجمال بها حينئذ أفخر .

وقوله : ﴿ وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنبياء:٩١) لأن السياق في ذكر مريم في قوله : ﴿ وَٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾ (الأنبياء:٩١) : ولذلك قدم الابن في غير هذا المكان ، قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً ﴾ (المؤمنون:٥٠)

وقوله : ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا ﴾ (الأنبياء:٧٩) قُدِّم الحكم على العلم مع أنه لابد من سبق العلم للحكم ، ولكن لما كان السياق في الحكم قدمه ، فإنَّ قبلها ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴾ (الأنبياء:٧٨) .

ومنه تقديم المحو على الإثبات في قوله :

﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ﴾ (الرعد:٣٩) . فإن قبله ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ (الرعد:٣٨)

وقوله : ﴿ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ﴾ (الشورى:٢٤)

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ ﴾ (البقرة:٢٤٥) قدم القبض
﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَـٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ (البقرة:٢٤٥) وكان هذا بسطاً ، فلا يناسب تلاوة البسط ، فقدم القبض لهذا ، وللترغيب في الإنفاق ، لأن الممتنع منه سببه خوف القلة ، فبين أنه هذا لا ينجيه ، فإنَّ القبض مقدر ولابد .

● **السبب التاسع عشر :**

مراعاة اشتقاق اللفظ :

كقوله : ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴾ (المدثر:٣٧).

﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾ (الانفطار:٥) .

﴿ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾ (القيامة:١٣)

﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْـَٔاخِرِينَ ۝٤٩ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَـٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ (الواقعة:٤٩،٥٠)

﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٣٩ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴾ (الواقعة:٣٩،٤٠)

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴾ (الحجر:٢٤)

﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (النحل:٦١)

﴿ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴾ (البروج:١٣)

﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ (الأعراف:٢٩)

﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ﴾ (الروم:٤)

﴿ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ (القصص:٧٠)

﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ ﴾ (الحديد:٣)

﴿ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ (البقرة:٢٢٠)

● **السبب العشرون :**

الحث عليه خيفة من التهاون به :

كتقديم تنفيذ الوصية على وفاء الدين في قوله : ﴿ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ﴾ (النساء:١١).

فإن وفاء الدين سابق على الوصية ، لكن قدم الوصية ، لأنهم كانوا يتساهلون بها بتأخيرها بخلاف الدَّين .

وقوله : ﴿ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ ﴾ (النساء:١١).

● **السبب الحادي والعشرون :**

الاهتمام به عند المخاطب :

كقوله : ﴿ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآ ﴾ (النساء:٨٦) ، وقوله : ﴿ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ ﴾ (الأنفال:٤١).

وقوله : ﴿ وَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦٓ ﴾ (النساء:٩٢) فقدم الكفارة على الدية ، وعكس في قتل المعاهد ، حيث قال : ﴿ وَإِن كَانَ مِن قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞ فَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ وَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ ﴾ (النساء:٩٢).

ومنه الاهتمام بالمدح والذم حيث يقدم ذكره على الممدوح ، فقولنا : نعم الرجل زيد أولى من قولنا : زيد نعم الرجل ، فالعرب يقدمون الأهم ، وهم في هذا بذكر المدح والذم أهم .

وأما تقديمه في قوله تعالى : ﴿ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴾ (ص:٣٠) [1] فإن الممدوح هنا نعم العبد هو سليمان ـ عليه السلام ـ وقد تقدم ذكره في قوله : ﴿ وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَ ﴾ (ص:٣٠) [2].

● **السبب الواحد والعشرون :**

للتنبيه عل أنه مطلق لا مقيد :

كقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ ﴾ (الأنعام:١٠٠) على القول بأن لفظ الجلالة في موضع المفعول الثاني لـ{جعل} و{شركاء} مفعول أول ، ويكون الجن في كلام ثان مقدر كأنه قيل : فمن جعلوا شركاء ؟ قيل : الجن ، وهذا يقتضي وقوع الإنكار على جعلهم {شركاء لله} على الإطلاق ، فيدخل مشركة غير الجن ، ولو أُخر فقيل : وجعلوا الجن شركاء لله ، كان الجن مفعولاً أولا ، وشركاء ثانياً ،

---

(١) البرهان ، المجلد الثالث ص٢٩ .

(٢) البرهان ، المجلد الثالث ص٢٩ .

فتكون الشركة مقيدة غير مطلقة لأنه جرى على الجن ، فيكون الإنكار توجه لجعل المشاركة للجن خاصة ، وليس كذلك .

● **السبب الثاني والعشرون :**

للتنبيه على أن السبب مرتب :

كقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ﴾ (التوبة:٣٥).

قدم الجباه ثم الجنوب ثم الظهور ، لأن مانع الصدقة في الدنيا كان يصرف وجهه أولاً عن السائل ، ثم ينوء بجانبه ، ثم يتولى بظهره .

● **السبب الثالث والعشرون :**

التنقل :

إما من الأقرب إلى الأبعد ، كقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً ﴾ (البقرة:٢١،٢٢) قدم ذكر المخاطبين على الذين من قبلهم ، وقدم الأرض على السماء .

وقوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ (آل عمران:٥) لقصد الترقي .

وقوله ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (المؤمنون:٨٦)

وإما بالعكس كقوله في أول الجاثية : ﴿ إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٣ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ﴾ (الجاثية:٣-٤) .

وإما من الأعلى كقوله : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ (آل عمران:١٨).

وقوله : ﴿ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ ﴾ (هود:٤٩)وإما من الأدنى كقوله : ﴿ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً ﴾ (التوبة:١٢١) .

وقوله : ﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ﴾ (الكهف:٤٩)

وقوله : ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ (البقرة:٢٥٥).

● **السبب الرابع والعشرون :**

الترقي :

كقوله : ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ﴾ (الأعراف:١٩٥) فإنه سبحانه بدأ منها بالأدنى لغرض الترقي

● **السبب الخامس والعشرون :**

مراعاة الإفراد :

فإن المفرد سابق على الجمع ، كقوله تعالى : ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ (الكهف:٤٦).

وقوله : ﴿ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴾ (المؤمنون:٥٥) ولهذا لما عبر عن المال بالجمع أخر عن البنين في قوله : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ ﴾ (آل عمران:١٤)، ومنه تقديم الوصف بالمفرد على الوصف بالجملة ، في قوله : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ ﴾ (غافر:٢٨) فـ {مُّؤْمِنٌ} وصف مفرد قدمت على جملة الصفة ﴿ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ ﴾ ، وقوله : ﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ﴾ (الأنبياء:٥٠) فـ ﴿ ذِكْرٌ ﴾ صفة قدم على الجملة الصفة ﴿ أَنزَلْنَٰهُ ﴾ .

● **السبب السادس والعشرون :**

التحذير منه والتنفير عنه :

كقوله تعالى : ﴿ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ﴾ (النور:٣) قرن الزنى بالشرك وقدمه .

وقوله : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ﴾ (آل عمران:١٤) قدم النساء في الذكر ، لأن المحنة بهن أعظم من المحنة بالأولاد ، ومنه تقديم نفي الولد على نفي الوالد ، في قوله : ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ (الإخلاص:٣).

فإنه لما وقع في الأول منازعة المنازعين وتقولهم اقتضت الرتبة بالطبع تقديمه في الذكر ، اعتناء به قبل التنزيه عن الوالد الذي لم ينازع فيه أحد من الأمم .

● السبب السابع والعشرون :

التخويف منه :

كقوله تعالى : ﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ (هود:١٠٥) وقوله تعالى : ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ (فاطر:٣٢) وقوله : ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ﴾ (آل عمران:١٥٢)

● السبب الثامن والعشرون :

التعجب من شأنه :

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ﴾ (الأنبياء:٧٩).

قدم الجبال على الطير ، لأن تسخيرها لداود أعجب وأدل على القدرة ، وأدخل في الإعجاز ، لأنها جماد ، والطير حيوان ناطق .

● السبب التاسع والعشرون :

كونه أدل على القدرة :

كقوله تعالى : ﴿ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ﴾ (النور:٤٥) .

● السبب الثلاثون :

قصد الترتيب :

كقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ﴾ (المائدة:٦) فإن إدخال المسح بين الغُسْلين ، وقطع النظر عن النظير مع مراعاة ذلك في لسان العرب ، دليل على قصد الترتيب .

ومن ذلك البداءة بالصفا قبل المروة قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ (البقرة:١٥٨) .

ولقد وضع بعض العلماء قاعدة ، وهي أن الكفارة المرتبة بدأ الله فيها بالأغلظ ، والمخيرة بدأ فيها بالأخف .

مثال المرتبة قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ (المائدة:٣٣)، بدأ فيها بالأغلظ طرداً للقاعدة ، ومثال المخيرة : قوله تعالى : ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ﴾ (المائدة:٨٩) .

● **السبب الواحد والثلاثون :**

خفة اللفظ :

بأن يقدم اللفظ الأخف نطقاً على الأثقل منه .

كتقديم الإنس على الجن في الآيات السابقة ، فالإنس أخف لمكان النون والسين المهموسة .

● **السبب الثاني والثلاثون :**

رعاية الفواصل وهو ليس مقصداً في ذاته ابتداءً كما سوف نبين وإنما هو تابع للمعنى :كتأخير الغفور في قوله : ﴿ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾(الحج:٦٠) .

وقوله : ﴿ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا ﴾(مريم:٥٤) .

وقوله : ﴿ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾(طه:٧٠).

بتقديم هارون مع أن موسى أفضل منه .